

## فتى "الكاريزما" وتمثال الشمع

### بقلم أدما حبيبي

كان بالأمس فتى نابضاً بحيويةٍ طاغية، سريعاً في حركته، رشيقاً في مشيته، يرقص فيعبتُ بأوتار قلوب مشاهديه، ليصبحوا من الهواة وأشدّ المعجبين. وبالأمس أيضاً كان فتىً حالماً، مندفعاً، وسيماً، وداكنَ البشرة. ولكن مع توالي السنين باتَ شخصاً آلياً، يمشي ببطءٍ ويبتسم بحذرٍ، وهو محاطٌ بمظلةٍ تحمي جلده المبييض من أشعة الشمس، وكمامة تمنعُه من تنفُّس الهواء الطبيعي الذي ربّما يحمل إليه بكتيريا أو فيروس غيرٍ محبب. كان في الأساس الدينامو المحرّك، فتحوّل مع الأيام إلى تمثالٍ من الشمع الأبيض والملون بالمساحيق والأصباغ. كان ولداً طبيعياً، لكن آل به المطاف ليصبح رجلاً يفتعل الغرائب ويدمنُ المخدرات، ويعيش في بلاد النواذر والعجائب التي أحاطَ بها نفسه وصغارَه. عاش طفولته بين أهله وأشقائه وشقيقاته الثمانية، إلى أن دفعت به الشهرة والنجومية إلى عزلةٍ تامة عاش فيها وراء الجدران العالية والحواجز المصطنعة والأسوار التي لا يمكن أن يخترقها إنسان. والآن مات "ملك البوب" والراقص على القمر بين نجوم السماء الفضية وتراب الأرض على الرغم من ظنون محبيه ومعجبيه من الملايين بأنه "إلهٌ لا يموت".

نعم، هناك وإلى جانب الطريق إلى بيته في إنسينو كاليفورنيا، تجمّع آلافُ الناس لأيامٍ معدودة حتى موعد جنازته غير المسبوقة، ولا إلى رؤساء أميركا، وهناك أيضاً بثوا شجونهم، وذرفوا دموعهم وغنوا وصلّوا وهنّفوا ورقصوا رقصته الشهيرة على القمر. فالشهرة أعمتُ عيونهم، ونسوا أنه إنسان يأكل وينام ويغضب ويشتهي ويمرض ويموت أيضاً. ظنّوه كلَّ ذلك إلا الموت. ووضعهُ آخرون في جنة الخلد فكتبوا: جاكو في حديقة الخالدين. وعلى الرغم من الصفات التي منحه إيّاها معجبهه ومحبوّه، والسجايا التي مدحوه بها من رافةٍ على المريض، وحنانٍ إزاء الشريد، ودخوله كتاب غينيس الشهير لكثرة ما أعطى من مالٍ للفقراء والمعوزين، إلا أنه مات، تاركاً كل هذه الهالات التي أحاطه به الناس والكبارُ من جماعة هوليوود. نعم، مات مديوناً، ووحيداً، ومريضاً وسجيناً ومستعبداً للمهدئات علّه يئنثي، وللأقراص المنومة لتخفف عنه ضغوطات حياته ونجوميته الفنية. لكنّ هذه عينها هي التي أوقعته في شراكها، وسرعان ما أسقطته صريعاً في مخالبيها، وهكذا أوقفت ضربات قلبه إلى الأبد.

وعاد "جاكو" مرة أخرى بمماته ليذكّر الناس جميعاً بأنّ الحياة قصيرةٌ قصيرة، وإنما هي نفخةٌ سرعان ما تخبو. وعلى خطى الكثيرين والكثيرات من أهل الفن والمشاهير، سار مايكل جاكسون منتبّحاً أثرهم ومنضمّاً إلى نهايتهم المفجعة، ومفاجئاً جمهوره الذي تركه يائساً ومكتئباً دون كلمةٍ تلميحٍ أو تصريحٍ عن وضعه الجريح، ودون كلمةٍ وداعٍ تليقُ بمقامه كملك البوب المحبوب

والمعبود. واعتلى نعش ملك البوب المذهب المسرح للمرة الأخيرة في الحفل التأسيسي الشهير إحياءً لذكراه. وشارك كبار نجوم الفن في الولايات المتحدة وضيوف من حول العالم فيه. وقُرأت رسائل من حول العالم قَدّمت فيها التعازي لأهل الراحل . كما أنشدت المغنية ماريا كيري رائعة جاكسون "سأكون هناك" "I'll be there" وهي تكاد تجهش بالبكاء. وتبعتها الممثلة كوين لطيفة بقراءة شعر كتبه الشاعر السمرام المعروفة الدكتورة مايا أنجيلو بعنوان: كان معنا وبيننا " We had him " . وتكلم عن حياته مشجعوه في عالم الفن، ومرافقوه في درب الغناء، كما حكى أحد رجال الدين عن حياته وكيف أنه تبع أحلامه وحقّق نجاحاً باهراً، ووصل وارتقى إلى أعلى السلم . وقال أيضاً إنه تخطّى حواجز اللون ، وبمواهبه وأدائه المميّز استطاع أن يفوز على مشكّكيه ومنافسيه كافة. وفي آخر الحفل التأسيسي قَدّمت عضوة الكونغرس عن ولاية تكساس تقديراً باسمه وأدّت لنعشه التحية. ونطق معلقو التلفاز قائلين بأنّ جاكسون كان ثالث ثلاثة هم أهمُّ الأشخاص المعروفين في العالم، بعد الملكة أليزابيث وبابا الفاتيكان. وودّعت ابنته الصغيرة بكلمات الحب والتقدير مع دموع الحزن والأسى.

وهكذا مات ملك البوب وترك جمهوره ومعجبيه، ومرافقيه وحاشيته، وخدمه وحشمه، وكذا أولاده أقرب المقربين إليه. مات وهو يحضّر نفسه لإقامة سلسلة من الحفلات الموسيقية ينهي فيها حياته على المسرح والتي تَقَرَّر أن تبدأ في لندن في تموز. مات وهو يستعد ويُجري التمرينات لهذه الحفلات التي بيعت جميع تذاكرها خلال ساعات فقط في شهر مارس. وكان جاكسون يأمل أن تُنْعش جولته البريطانية ميزانيته وتؤمّن حياته بعد اعتزاله. لكنّ الرياح تجري بما لا تشتهي السفن فسقط ملك البوب وكان سقوطه عظيماً.

لكم يذكرني هذا الحدثُ بمثلٍ قدّمه الرب يسوع المسيح في الإنجيل بحسب لوقا والفصل الثاني عشر فقال: "إنسان غني أخصبت كورته ، ففكّر في نفسه قائلاً: ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري. وقال أعمل هذا، أهدم مخازني وأبني أعظم وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي يا نفسُ لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة . استريح وكلي واشربي وافرحي. فقال له الله يا غبي في هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي أعدتها لمن تكون. هكذا الذي يكثر لنفسه وليس هو غنياً لله."

ظنّ ملكُ البوب وكذا مثله الكثيرون أنّ الهدف الأول في الحياة هو أن يؤمّن عيشه ليحيا حياةً رغيدة. وظن جاكسون بأنّ حفلاته البريطانية هذه لسوف تسدّد ديونه ولسوف تؤمّن له معيشته وأولاده بعد تفرّغه من الفن والغناء نهائياً. لكنّ صوت الله الذي لا يعلم أحدٌ مواعده، ناداه في تلك الليلة وهو يحسب حساباته، قائلاً له: في هذه الليلة تطلب نفسك منك... كنزاً لنفسه ، وعلى الرغم من

الديون التي كان يعيش تحت وطأتها ، إلا أنه كان يفكر أبداً في حلول تُخرجه من أزماته العديدة وتؤمّن لنفسه عيشاً رغيداً ويقيم لنفسه اسماً عظيماً. لكنّ الله وصفه بالغبي إذ قال له يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك. فهل نضيّع حياتنا في سبيل تحقيق ذاتنا؟ أم نضيّع حياتنا لكي نجدّها في الله خالقنا، وفي يسوع المسيح مخلصنا وفادينا؟ الذي وحده يمنح حياتنا معنىً ومغزىً؟ أجل، هناك خسارةٌ وربحٌ، وربحٌ وخسارة. فأَيّ الاثنين نختار؟ أن نخسر نفوسنا لكي نربحها أمام عرش الله؟ أم نربح نفوسنا هنا لكي نخسرها هناك؟ وشتان ما بين الاثنين!!! قال يسوع المسيح: إن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. فهل نتعلّم الدرس الأهم في الحياة؟ فنصيبُ الهدف ونحصل على الحياة والحياة الأفضل؟ ولا يكون الموت هو النهاية ، بل يصبح البداية لحياة سعيدة في دار النعيم. فلمنّ تعيش يا قارئ العزيز؟ لأجل ذاتك؟ ونفسك؟ من أجل تخليد اسمك على هذه الأرض الزائلة؟ أم من أجل مالك ومقتنياتك؟ احذر عزيزي لئلا تصيرَ تمثالاً من الشمع جامداً أجوف، وخالياً من الحياة!!!